الافتتاحيّة

الكتاب المقدّس والقرآن

رئيس التحرير

مقدّمة

يحسن أن ننظر إيجابًا إلى الدعوات الكثيرة الرائجة في عصرنا، والتي تتكلّم وبإلحاح على الحوار الضروريّ بين المسيحيّين والمسلمين، لا بل بين المسيحيّة والإسلام[١]. إنّ المبادرة، التي اتّخذتْها إدارة **مجلّة بيبليا**، بتسليط الضوء على ما بين الكتاب المقدّس والقرآن من نقاط تشابه وتواصل، من جهة، واختلاف وتباعد، من جهة ثانية، تصبّ في تحقيق الهدف السامي القاضي بإبراز حقائق الأمور استنادًا إلى منهجيّة علميّة موضوعيّة، والذي سيعمل على الإسهام فيه ذوو اختصاص ومعرفة.

إن الصِيغ غير الدقيقة أو الملتبسة، الغارقة في كمٍّ كبير من التصريحات الصادقة أساسًا، ولكن الفارغة أو شبه بذلك واقعًا، قد تؤدّي إلى الظنّ أو التخيُّل أنّ الحوار يسير على ما يرام، بينما الواقع هو على خلاف ذلك. هناك العديد من البيانات أو التصاريح التي تشكّل آخر الأمر مجموعةً من الالتباسات الذهنيّة الضارّة والمسيئة.

أ – ثوابت قرآنيّة إسلاميّة

بالنسبة إلى المسلمين، كلِّ المسلمين، هناك نقاط جوهريّة أربع تشكّل نوعًا من قاعدة الإيمان، هي التالية:

١– **محمّد** هو رسول الله؛

٢– **القرآن** هو الكلام الذي أملاه الله على محمّد، وبالتالي ينبغي أن يحظى بالإكرام؛

٣– **وجهة الصلاة** هي نحو **مكّة**؛ من هنا العبارة التي يطبّقها المسلمون على ذاتهم، متخطّين كلّ انقساماتهم: "أهل **القِبْلة**"، أي إلى حيث تكون وجهتهم عند الصلاة؛

٤– بالنتيجة، هذه المدينة هي للجميع أيضًا هدف **الحجّ الكبير سنويًّا**.

فإذا كان **القرآن هو كلام الله**،

وإذا كان **محمّد الذي تلقّاه هو مرسل الله**، و"المثال الجميل" (القرآن ٣٣: ٢١) الذي اقترحه الله على المؤمنين،

فبإمكاننا، أقلّه مبدئيًّا، أن نستنتج تقريبًا التصرّف كلّه الذي يشاء الله أن يراهم يتبنّوه.

(١) أنظر أيضًا في هذا العدد: كريستيان تْرُولْ، تعريب روز أبي عاد، "البيبليا والقرآن في حوار".

ب – المقارنة المغلوطة بين الكتاب المقدّس والقرآن

إنّ الخطر الجسيم بالنسبة إلى المسيحيّين، كما بالنسبة إلى المسلمين، لا بل إلى كلّ إنسان، هو الخمول العقليّ والتقهقر الفكريّ؛ نقول هذا الكلام لكي نؤكّد على أنّ هذا الخطر الحاصل يؤدّي بهؤلاء جميعًا إلى أن يُلصقوا ببعضهم البعض آراء لا تستند إلى حجّة دامغة أو إلى ثوابت أهلٍ للقبول؛ وتحديدًا هنا، يؤدّي بالمسيحيّين إلى أن يُلصقوا بالإسلام رسومًا بيانيّة من الفكر المسيحيّ، وليس في هذا احترامٌ للإسلام ولكتابهم المُنزَل، كما يؤدّي بالمسلمين إلى أن يُلصقوا بالمسيحيّين وبكتبهم المقدّسة أمورًا مماثلة، وليس في هذا أيّ خير لأيٍّ من الفريقَين.

يظنّ الكثيرون أنّ الحوار يكون أسهل إذا ما كان هناك تشديد على النقاط المشتركة، مقابل التقليل من أهمّيّة الفروقات؛ فما هي الفائدة، مثلاً، من القول أنّ الإسلام، كما المسيحيّة، هو:

– ديانة توحيديّة،

– وأنّه يعتقد أنّ الله يخاطب الناس بواسطة الأنبياء وعَبْرَهم،

– وأنّه يعرف أسماء إبراهيم، ويسوع، وغيرهما؟

هذا في الواقع صحيح، ولكن دون فائدة تُجْنى من ذلك، ولا غاية يتمّ بلوغها.

ينبغي القول بوضوح أنّ الإسلام يختلف عن المسيحيّة، وأنّ المسيحيّة تختلف عن الإسلام، هذا إذا كنّا نسعى حقًّا إلى حوار مفيد وبنّاء بين الاثنين. لن يكون ذا مردود الكلام بشكل ملتبس على أوجه الشبه بين المسيحيّة والإسلام، إذ ليس كلُّ شَبَهٍ هو في الحقيقة شَبَهٌ.

إنّ التشابه بين المسيحيّة والإسلام يجعلنا نتبيّن أنّ كثيرًا من المعطيات اليهوديّة والمسيحيّة هي موجودة في الإسلام، ولكن ينبغي الاعتراف بأنّ هذه المعطيات قد تبدّلَ مفهومُها، أو مدلولُها، كلّيًّا أو جزئيًّا. ويحسن هنا أن نشير إلى وجوب وضع جدول بالعناصر التي تتقاسمها الديانتان، انطلاقًا من كتاب كلٍّ منهما[٢].

لقد حدّد الإسلامُ الناشئُ ذاتَه من خلال تمايُزِه عن الديانتَين اليهوديّة والمسيحيّة. وعندما أراد أن يوضح الأمرَ حول ما هو جديدٌ فيه كديانة، اعتبر ذاتَه وكأنّه ديانةٌ أتت بعد اليهوديّة وبعد المسيحيّة، وبالتالي بعد الكتاب المقدّس.

ج – هل القرآن على تواصل مع الكتاب المقدّس؟

هل هناك كتاب مشترك بين اليهوديّة والمسيحيّة، من جهة، والإسلام، من جهة أخرى؟

هناك فكرة إسلاميّة تقول بأنّ **الكتب المقدّسة** التي سبقت القرآن، قد عبث بها حاملوها، وبالتالي هي لا تمثّل رسالة موسى ولا رسالة يسوع. المعضلة هي أنّ رسالة القرآن لا تتفّق إلاّ جزئيًّا ومن بعيد مع رسالة العهد القديم والجديد، لذا كان لا بدّ من محاولة إيجاد وسيلة لإبطال الكتاب المقدّس. هذا ما تحقّقه بالتحديد عقيدة "التحريف"، أي **تحريف الكتب المقدّسة** التي سبقت القرآن.

ترتكز فكرة التحريف هذه على أساس قرآنيّ، حيث لدينا لَوْمٌ يُوجَّه إلى بعض اليهود الذين حوّلوا الكلام عن معناه الصحيح (٤: ٤٦). لقد تمّ تشويه النصّ الأصليّ المنْزَل من لدن الله، بتحريض من أشخاص تَدْعُوهُم الأسطورةُ أحيانًا "عزرا" بالنسبة إلى اليهوديّة، وأحيانًا أخرى "بولس" بالنسبة إلى المسيحيّة؛ إن التنديد بهذا الأخير باعتباره مؤسّسَ مسيحيّةٍ تخونُ يسوعَ هو شائع[٣]، ينبغي التشديد في هذا السياق على أنّ بولس ليس على الإطلاق مؤسّسَ المسيحيّة بل، كما يؤكّد هو، لم يعلّم سوى ما تسلّمهُ من الجماعة المسيحيّة الأولى: "فإنّي سلّمْت إليكم أوّلاً ما تسلّمْتُه..." (١ كو ١٥: ٣أ)[٤].

د – مفهوم الوحي البيبليّ مختلف عن المفهوم القرآنيّ

الوحي في القرآن مختلف عن الوحي البيبليّ. إنّ الطريقة التي بها يعرض الإسلامُ العلاقةَ بين الله والإنسان

هي على نقيض الرسالة البيبليّة؛ **فاستنادًا إلى الكتاب المقدّس**، الواقع الأوّل ليس النبوءة، بل دخول الله في التاريخ، واختباره أن يكون في شركة مع الإنسان، بدءًا من الشركة مع شعبه الذي بتّ معه عهدًا، منتقلاً من تواصل غير كلاميّ إلى تواصل كلاميّ عبر الأنبياء الذين يعتبرون ذاتهم مرسليه، وبواسطتهم يخاطب إسرائيل، ومَهَمَّتُهم هي التذكير بعهد الله[٥].

بالنسبة إلى المسيحيّة عهد الله مع البشريّة وجد ذروته في الوحدة في شخصٍ واحد، هو يسوعُ المسيح، بين الطبيعتَين الإلهيّةِ والبشريّة. ما هو جوهريّ في المسيحيّة هو بالتالي حياة المسيح بالذات، على قدر ما تُبرِز وجهَ الله من خلال ما يقوم به، وكلُّه في النهاية خلاصيٌّ، أي: المسامحة، والشفاء، والإطعام، والتحرير من الخطيئة، والتخليص من الموت. إنّ تعليم يسوع هو وجهٌ من حياته؛ هو يصوغُ بكلماتٍ ما تعبّرُ عنه أفعالُه، وأفعالُه تضمنُ حقيقةَ ما يَعِدُ به والبُعْدَ العملانيَّ لِمَا يطلبه. يسوع لم يحمل رسالة، بل هو ذاته رسالة الله للبشر.

أمّا الإسلام فيرى أنّ الوحي الإلهيّ هو إبلاغُ رسالة لا تعلِّم ما هو الله، بل ما يريد. الله الذي يبتّ هذا الوحيَ "يُنزِل" (نزول) كتابَه في صُوَرٍ تقعُ في قلب التاريخ، لكنّ الله لا ينخرط في المخاطرة البشريّة. رسالته هي كتاب، هو القرآن، كما أُوكِل إلى محمّد، مرسَل الله.

هـ – هل محمّد نبيّ؟

هل يستطيع المسيحيّون أن يعترفوا بمحمّد نبيًّا؟

لكن ما معنى كلمة "نبيّ"؟

يميّز الإسلام مستويات عدّة في النبوءة؛ ولكي يشير القرآن إليها، هو لا يملك مصطلحات موحّدة. بالمقابل، يميّز التفكير العقائديّ اللاحق بين "نبيّ" و"رسول":

– يتلقّى كلّ نبيّ إملاءً من العلاء، لكن بالنسبة إلى آخرين هذا الإملاء لا يتعلّق بهذين النبيّ والرسول.

– إلى آخَرين، أقلّ عددًا، يُبلغ الإملاءُ رسالةً عليهم أن ينقلوها إلى الجماعة التي إليها هم ينتمون.

– أخيرًا، يتوجّب على البعض، وهم قلّة صغيرة جدًّا، أن يجلبوا إلى جماعتهم، وفي حالة محمّد إلى البشريّة بأسرها، قاعدةَ حياةٍ تعبّر عن إرادة الله؛ هذه الفئة الأخيرة من الأنبياء هي وحدها يُشار إليها بكلمة "رسول"، وإليها ينتمي محمّد؛ وإذا كان القرآن يوحي بأنّه قد أُرسِل أُنزِل إلى "الحُمرْ والسود"، أي إلى الناس أجمعين.

إذا اعترف المسيحيّ بصفة "النبيّ" لمحمّد، فإمّا أنّه يعني بها ما لا يُرضي المسلمين، وإمّا هو يعطي للكلمة معنى "المُرْسَل"، وبالتالي قد يطلب منه المسلمون، بما أنّه يقبل بحقيقة رسالة محمّد، أن يخضع للشريعة التي جاء بها محمّد، ويمتنع عن أن يتبع شريعة المسيح، التي أبطلها الله وأحلّ مكانها الشريعة النهائيّة، أي شريعة محمّد.

خاتمة

من كلّ ما تقدّم نستنتج أنّ الحوار والرغبة في التلاقي والنوايا الحسنة لن تأتي بنتيجة من دون قول الحقيقية. ينبغي أن يسير الحوار المسيحيّ الإسلاميّ بالحقّ وبالمحبّة في معرفةٍ دقيقةٍ واحترامٍ عميقٍ لِما

(٢) رج: D. Masson, *Monothéisme coranique et monothéisme biblique. Doctrine comparées*, Paris, Desclée, 1976.

(٣) Cf. H. Maccoby, *The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity*, Londres, Weinfeld and Nicholson, 1986; Si Hamza Boubakeur, Traité moderne de théologie islamique, Maisonneuve ²1993, p. 95-97.

(٤) رج في هذا العدد من **مجلّة بيبليا**، أيوب شهوان، "بولس وتأسيس المسيحيّة في رأي المسلمين".

(٥) رج في هذا العدد من **مجلّة بيبليا**، جان عزّام، "الوحي والإلهام والتنزيل بين الإسلام والمسيحيّة".

يفكّر به الآخَر، ويؤمنُ به، ويقوله؛ ينبغي أيضًا أن يصغي المسيحيّ إلى المسلمين يتكلّمون على شخص يسوع، وأن يصغي المسلمون إلى المسيحيّين يتكلّمون على شخص محمّد؛ هذا ما يتمنّاه بوضوح العديدون من الساعين إلى تنشيط الحوار المذكور، وفي طليعتهم روجيه أَرْنَلْدِز[٦]، من خلال مؤلّفاته الشهيرة في هذا المجال.

مراجع

ARNALDEZ Roger, *Jésus, fils de Marie, prophète de l'islam*, coll. « Jésus et Jésus-Christ », 13, Paris, Desclée 1980.

BOUBAKEUR Si Hamza, *Traité moderne de théologie islamique*, Maisonneuve ²1993.

MASSON D., *Monothéisme coranique et monothéisme biblique Doctrines comparées*, Paris, Desclée, 1976.

(٦) Cf. Roger ARNALDEZ, *Jésus, fils de Marie, prophète de l'islam*, coll. « Jésus et Jésus-Christ », 13, Paris, Desclée 1980. يتضمّن هذا المؤلَّف سيرة قرآنيّة ليسوع .